التّوجيهُ الصّوتيُّ لمفردتي(أهل)و(آل) في مؤلّفاتِ غريبِ القرآنِ

أ.م.د. عقيل عكموش عبد الباحثة غسق جلاء جبّار

جامـعة القـادسـيّة / كلـــية التّربيـــة

nlecdiw43@alkadhum-col.edu.iq

ملخّص البحث :

بينَ مُفردتي(أَهلٌ) و(آلٌ)علاقةٌ خالَ كثيرونَ أَنَّ الأولى هي الثَّانيةَ وكذا العكسُ؛ وهو فكرٌ أَنتجَهُ إمكانُ تعاورِ صوتي الهمزةِ والهاءِ منْ جهةٍ وخيطٌ دلاليٌّ منْ جهةٍ أُخرى، فأُكثرَ الكلامُ في مقاربتِهما غيرَ أَنَّهُ لم يكنْ تامًّا لما فيهِ منْ حُكمٍ قبليٍّ مستندٍ إلى فكرةٍ ما سيكشفُ البحثُ عنها في الآتي منهُ.

Abstract:

There is a relationship between the terms “ahl” and “al” that many people thought that the first is the second, as well as the opposite. To an idea that the search for it will reveal in the following.

–المقدّمة :

القارِئَ المُفكّرَ أينما رحلَ فإنَّه لا ينفكُّ ينظُرُ بِعُمقٍ وتكثِرُ أَسولَتُهُ، فيجدُ ما يجدُ ليُتِمَّ نصَّ غيرِهَ تصحيحًا وبناءً؛ وهذهِ بضاعتي لا أَطلبُ إلَّا إن يُنظرَ فيها بعينِ الباحثِ الشَّاكِّ علَّ الذي علَّها تُزيلُهُ فطنَةُ النَّاقدِ المتفكّرِ.

بينَ يديّ القارئِ الكريمِ بحثٌ أَلتمِسُ فيهِ أَنْ أَصِلَ لا إلى حلِّ مسألةٍ نفضَ علماءُ اللغةِ بعدَ البحثِ فيها أَيديهم متقصّينَ شيئًا منْ الحقيقةِ،ولكنْ لأَنظُرَ في منظومةٍ بُنيتْ بيدِ طبيعَةٍ بشريَّةٍ لها خصائصَ مشتركةٍ أَنتجتْ توجيهًا مرَّةً يتَّصِلُ بالموروثِ وأُخرى تُخرِجُهُ فيها عن الموروثِ فكرةٌ ما كانَ عصيًّا على أَحدٍ أَنْ يخرُجَ منْ دائرتِها،وكلُّهُ بحثٌ تحجُبُ النُّورَ فيهِ غَمامَةُ المرجعِيَّةِ التي لا تتصلُ باللُّغةِ أَو البحثِ اللُّغويِّ.

قيل:((وإنَّما أُبدلت هاءُ الأهلِ همزةً فصار ءَأْلَ، ثمَّ أُبدلت الهمزةُ ألفًا فصار آلَ))[1] ،يعني أَنَّنا أَمامَ إبدالٍ للهاءِ لتصيرَ همزَةً ،وما منْ قاعدةٍ لغويَّةٍ تحكي لنا هذا الإبدالَ، ولكنْ هو سماعٌ نُقلَ واشتهرْ ،هذا ما

نقلتْهُ مؤلّفاتٌ لغويَّةٌ كثيرةٌ قديمةٌ وحديثةٌ وهي تتوكَّأُ على عُكَّازِ التّصغيرِ بدعوى تصغيرِ آلٍ هو أُهيل[٢]،فهلْ القولُ ما قيلَ؟

للكشفِ عن نوعِ العلاقةِ بينَ المفردتينِ لابدَّ منْ العودِ إلى الأداءِ اللُّغويِّ نقلًا واستعمالًا،فالتفتيشُ في معجماتِ اللُّغةِ الأُولى ينقلُ الأداءَ اللُّغويَّ العربيَّ آنذاك،كما يكشفُ رأيَ أهلِ اللغةِ منْ العلماءِ الذينَ ينقلونَ ويوجّهونَ الأَداءَ المنقولَ،وإنَّنا لا نجدُ مفردتي(أهلٌ،وآل)*في غيرِ(أيل،أو أَوَلَ، أو أَهَلَ،أو آل)،ففي كتابِ العينِ-وتبِعَهُ آخرونَ- الأهلُ من(أَهَلَ)،قال:((أَهلُ الرَّجلِ زوجُهُ، وأخصُّ النّاسِ بِهِ.والتّأهُّل:التَّزوُّج.وأَهلُ البيتِ:سُكَّانُهُ،وأهلُ الإسلامِ:من يدينُ به{ومن هذا يُقال:فلان أهل كذا أو كذا}...وجمعُ الأهلِ أهلونٌ وأهلات،والأهالي:جمع الجمع،وجاءت الياء التي في الأهالي من الواو التي في الأهلون...ومكانٌ مأهولٌ فيه أهلٌ..ومكانٌ آهلٌ:له أَهلٌ...والعربُ تقولُ:مرحبًا وأهلًا،ومعناه:نزلتَ رُحبًا،أي:سعةً،وأتيت أهلًا لا غُرباء[٣]((،فلم يتحدّثْ عن مفردةِ(آلٍ)مع حديثِهِ عن(أَهل)،وتحدّثَ عنها تحتَ الجذرِ اللغويِّ(أيل)قال:((وآلُ الرَّجُلِ:ذو قرابتِهِ،وأهلُ بيته))[٤]،فما أَشارَ إلى إبدالٍ صوتيٍّ ولم يذكرْ صلةً بين المُفردتينِ،ونقلَ الأزهريُّ(ت٣٧٠هـ)ما اختلفَ القومُ فيهِ و-رُبَّما-سببَ الاختلافِ، قالَ:((وقال أحمد بن يحيى*:اختلف النّاسُ في الآلِ:فقالت طائفةٌ:آلُ النّبيّ من اتّبعهُ،قرابةً كانَ أو غيرَ قرابة.وآلُهُ:ذو قرابتِهِ مُتَّبعًا كانَ أو غيرَ مُتَّبع.وقالتْ طائفةٌ:الآلُ والأَهل،واحدٌ.واحتجّوا بأنَّ الآلَ إذا صُغّرَ قالوا:أُهيل، فكأنَّ الهمزة هاءً،كقولهم:هنرتُ الثّوبَ وأَنرتُهُ،إذا جعلت له علمًا.وروى الفرّاءُ،عن الكسائيّ في تصغير آلٍ:أُويل.قال أبو العبّاس*:فقد زالت تلك العلّة وصارَ الآلُ والأهلُ أصلين لمعنيين،فيدخلُ في الصّلاة كلّ من اتّبع النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم،قرابةً كان أو غير قرابة...))[٥]،فالذي يبدو أنَّ قفزةً في التعاملِ معَ المفردتينِ حصلتْ،تكمُنُ في محاولةِ المقاربَةِ بينَهُما،وإنَّ الصلةَ بينَ المفردتينِ فرضتْها سُلطةٌ ما لها علاقَةٌ بدلالةٍ مقدّسةٍ،ومنْ هُنا تبدَأُ القصَّةُ،ثمَّ الذي أَعانَ على استمرارِها تعليلٌ لغويٌّ لمَّا استقرَّ في الأذهانِ امتدَّ إلى المعجماتِ العربيّةِ بعدَ معجمِ العينِ ومن تبعَهُ،كما نرى في قولِ ابنِ سيده:((وآلُ الرَّجلِ:أَهلُهُ.وآلُ اللهِ وآلُ رسولِهِ:أولياؤُهُ،أَصلُها أَهلٌ،ثمَّ أُبدلتْ الهاءُ همزةً،فصارتْ في التّقديرِ أَأْلٌ،فلمّا توالتْ الهمزتانِ أبدلوا الثّانيةَ ألفًا،كما قالوا آدم وآخر...فإن قيل:ولمَ زعمتَ أَنَهم قلبوا الهاء همزة،ثمَّ قلبوها فيما بعدُ،وما أنكرت أن يكون قلبوا الهاءَ ألفًا في أوّل الحال؟فالجواب أنَّ الهاء لم تُقلبْ ألفا في غير هذا الموضع،فيقاس هذا هنا عليه...وأيضًا فالألف لو كانت منقلبةً عن غير الهمزة المنقلبة عن الهاء على ما قدّمناه لجاز أن تستعمل آل في كل موضع يُستعملُ فيه أهل....))[٦]،هذا التعليلُ الصّوتيُّ ممتدٌّ من المدوّنةِ اللُّغويّةِ لا شكَّ،وليسَ منفردًا،فتوجيهٌ آخرُ يكونُ قبالتَهُ يدعَمُهُ تعليلٌ وقياسٌ،قالَ الفيّومي:((و(الآلُ)أهلُ الشّخصِ وهم ذوو قرابته،وقد أُطلقَ على أهل بيته وعلى الأتباعِ،وأَصلُهُ عند بعضٍ(أَوَلٌ) تحرّكتْ الواوُ وانفتحَ ما قبلها فقُلبت ألفًا مثل قال...)) .[٧]

نصوصُ معجماتِ اللُّغةِ تشيرُ إلى:

-أنْ لا صلةَ بين(أَهل)،و(آل)إلّا القرابة في المعنى.

- أنْ تكونَ مفردةُ(آل)نتاجَ تحوّلٍ للهاءِ الواقعة عينًا في(أَهل)،لتصيرَ تلكَ الهاءُ همزةً،ثمَّ تسهّلُ ألفًا قياسًا على مفردةِ(آدم)،نعم الآليّة المفترضةُ واحدةٌ،لكنَّ الهمزةَ الأصلَ في(آدم)احتاج اللسانُ أنْ يُسهِّلَ نُطقَها،أمّا الهاءُ في(أَهل)فلا حاجةَ باللسانِ إلى ارتكابِ الصّعبِ ثمَّ العودِ إلى تسهيلِهِ.

-أنْ يكونَ(أَوَلَ)هو الأَصلُ في مفردةِ(آل)وأَنَّ الواوَ أُبدلتْ أَلفًا،لولا أنَّ بعضَ منْ تحدّثَ جعلَ تصغيرَ مفردةِ(آل)هو(أُهيل)،والقاعدةُ تقضي في أنْ يعودَ الأصلُ في التَّصغيرِ.

وعليه إمّا أنْ لا تكونَ بينَ المفردتينِ صلةٌ من جهةِ التَّشكيلِ البنائيِّ للمفردتينِ،أو أنْ يكونَ أصلُ(آل)هو(أهل)أو(أَوَلَ)،ولا يمكنُ افتراضُ صحّةِ الثّلاثةِ استنادًا إلى ما نُقلَ وقيلَ بعدَ الكشفِ عنْ رأيِ أصحاب المعجماتِ في هاتينِ المفردتينِ،وإنَّ العودَ إلى المؤلّفاتِ اللغويّةِ القديمةِ-التي يبدو أنَّ بعض المعجماتِ قد تأثّرتْ بما جاء منْ آراءٍ ومسوّغاتٍ فيها-يكشفُ عن رأيِ منْ نقلَ اللغةَ أداءً وتنظيرًا،كما أَنَّ توجيهَ مفسِّر النَّصِّ القرآنيِّ-ممنْ عملَ بمعيارِ قواعدِ اللغةِ في التفسيرِ-يكشفُ الكثيرَ.

والبدءُ بسيبويهَ،إذ نُسبَ إليه ما لم يقلْهُ في إبدال الهاء همزةً هنا،ففي مؤلَّفِهِ الشّهيرِ أبوابٌ كانَ من الممكنِ أنْ نجدَ فيها مفردةَ(أهل)،أو مفردةَ(آل)و ما جرى لهما،مثلُ:هذا بابُ ما ذَهبتْ عينُهُ[٨]-وهو يتحدّث عن التّصغيرِ-وإنْ كانَ قياسُ من ارتضى إبدالَ الهاءِ همزةً على ما ذَهبتْ لامُهُ_وأعني ماء،وماه-فقد أَفرد سيبويهُ لها بابًا آخرَ هو:هذا بابُ ما ذهبتْ لامُهُ،قالَ فيه: ((ومن ذلك فَمٌ تقول:فُوَيْهٌ،يدلّك على أنَّ الذي ذهب لام وأنَّها الهاء قولهم:أَفْواهٌ،وحذفتَ الميم ورددتَ الذي من الأصل،كما فعلتْ ذلك حين كسَّرته للجمع فقلت:أَفْواهٌ.ومثله مُوَيْهٌ،ردُّوا الهاءَ كما ردّوا حينَ قالوا:مياهٌ وأَمْواه[٩]((،فالقياسُ مع الفارقِ-هنا-قد كبُرَ الفارقُ فيهِ،وأَمّا قياسُها على(ماء)و(ماه)فإنَّنا نجدُ نصَّهُ في:هذا باب حروف البدلِ،قال:((والميم تكون بدلًا من النّون في عَنْبَرٍ وشَنْباءَ ونحوِهما،إذا سكنتْ وبعدها باءٌ.وقد أُبدلتْ من الواوِ في فم وذلكَ قليل،كما أنَّ بدلَ الهمزةِ من الهاءِ بعد الألف في ماءٍ ونحوه قليل،أبدلوا الميم منها إذْ كانت من حروف الزّيادة[١٠]((،ففي النَّصِّ بيانٌ لسببِ الإبدالِ بينَ الميمِ والنُّونِ،ويقاسُ عليهِ الإبدالُ بينَ الميمِ والواوِ،وهو قليلٌ أيضًا،وقياسُه الثّانيَ على الأَوَّلِ إنَّما هو منْ جهةِ قبولِ هذا النَّوعِ من الإبدالِ،وَأَمَّا إبدالُ الهاءِ همزةً قياسًا على ما تقدّمَ،فوجهُ القياسِ فيهِ القلّةُ لا التَّوجيهُ الصّوتيُّ،ولو كانَ ما نُسبَ إلى سيبويهَ منْ قولٍ في إبدالِ الهاءِ همزةً في(أهل)و(آل)لذَكَرَهُ هنا،قياسًا على التشابهِ في توجيهِ ما حدثَ للمُفردةِ،أو قياسًا على القلَّةِ في صيرورتِه،لكنَّنا لا نجدُ هاتينِ المفردتينِ:(أَهل)،و(آل)في هذا البابِ برُمَّتِهِ[١١]،وما يؤيّدُ الاشتباهَ في نسبةِ ما تقدَّمَ إلى سيبويهَ،أنَّ أحدًا ممنْ نَقلَ الرأيَ المنسوبَ لم يرجِعْ إلى مؤَلَّفِ سيبويهَ ليَدُلَّنا على موضعِ الرَّأيِ فيهِ،وكذا فعلَ منْ حقَّقَ النُّصوصَ القديمةَ منها[١٢]،وأَمَّا الأخفشُ الأوسط(ت٢١٥هـ)،فقدْ أَفردَ بابًا عنوانُهُ(بابُ أَهلٍ وآلٍ)،قالَ فيهِ:((وأَمّا"آلُ"فإنَّها تحسُنُ إذا أُضيفت إلى اسم خاصٍّ نحو :"أتيتُ آلَ زيدٍ"و"أَهل زيد"و"أَهل مكّةَ"و"آلَ مكّةَ"و"أهلَ المدينةِ"و"آلَ المدينةِ".ولو قُلتَ:"أتيتُ آلَ الرَّجلِ"و"آلَ المرأةِ"لم يحسن،ولكن:"أتيتُ آلَ اللهِ"وهم زعموا أهل مكّة.وليس"آل"بالكثير في أسماء الأرضين وقد سمعنا من يقول ذلك،وإنَّما هي همزةٌ أُبدلتْ مكانَ الهاءِ مثل"هيهاتَ"و"أَيهات"[١٣]((، يبدو أَنَّ تلميذَ سيبويهَ(الأَخفَشُ)قدْ قطعَ القولَ في إبدالِ الهاءِ همزةً قياسًا على ما ذكرَ،وهو قياسٌ أَوهمَ منْ جاءَ

بعدَهُ،فإمَّا أن يتَّبعَ مقولةَ الأَخفشِ اعتدادًا بمكانتهِ العلميّةِ،ثمَّ يفترضُ سؤالًا:لمَ أُبدلَ فجيءَ بالصَّعبِ،فما غايةُ الإبدالِ هنا؟ليفترضَ علَّةً تصطدِمُ بالكثيرِ حتى تَوْهَنُ،أو أنْ يُخالفَ ويمضي بثباتٍ،أو أنَّهُ لا يُلقي للمسألةِ بالًا؛لأَنْ لا وجهَ للمقاربةِ عندهُ،وهذا ما فعلهُ المُبرِّدُ(ت٢٨٥هـ)فلمْ يذكرْ المقاربةَ المزعومَةَ بينَ المفردتينِ في بابِ الإبدالِ عندَهُ فلو كانَ التَّوجيهُ الصَّوتيُّ الذي ذُكرَ هو الذي اعتراهُما لذُكِرتا فيه[١٤]،ثمَّ جاء ابنُ جنّي(ت٣٩٢هـ)ليُحييَ ما جاءَ بهِ الأخفشُ الأَوسطُ شارحًا ومعلّلًا،قال:((وأما إبدال الهمزة عن الهاء فقولهم:ماء،وأصله:موه،لقولهم أمواه،قلبت الواو ألفًا،وقلبت الهاء همزة...ومن ذلك قولهم أال،كقولنا أال الله،وأال رسوله،إنّما أصلها أهل،ثمّ أبدلت الهاء همزة،فصارت في التقدير أأْل.فلمّا توالت همزتان،أبدلوا الثانية ألفًا،كما قالوا آدمُ وآخر،وفي الفعل آمن وآزر[١٥]((،ابن جنّي يقيسُ ويقارب،فمفردةُ(أَهل)عندهُ هي الأَصلُ،ثمَّ أبدلتْ الهاءُ همزةً فصارت (أأْل)،ليحدثَ تخفيفٌ للهمزةِ تلك:

أ ـَـ هـ /ل ـُـ

أ ـَـ ء/ل ـُـ

أ ـَـ /ل ـُـ

فكلُّ الذي حصلَ هو أَنَّ الهاءَ أُبدلتْ همزةً،قاسَ على ماءٍ وماهٍ،ومنعَ أنْ تكونَ قد أُبدلت أَلفًا؛لأنْ ليسَ في العربيّةِ مثالٌ يقيسُ عليهِ[١٦]،وليسَ ماءٌ يشبهُ آل،ولا ماهٌ يشبهُ أَهلَ لكي يقاسَ عليهِ،والفرقُ بينهما من جهةِ الاستعمالِ أوَّلًا،فمنْ يستعملُ(ماه)لا يستعملُ في كلامهِ(ماء)ومن يستعملُ الثّانيةَ لا يستعملُ الأُولى،أمّا(أَهل)و(آل)فكلاهما مستعملتانِ في الأَداءِ اللغويِّ الواحدِ،بلْ في النَّصِّ الواحدِ،أَمّا الفرقُ في الدَّلالةِ بينَ المفردتينِ،الذي ذكره ابنُ جنّي[١٧]،فهذا يكونُ حجّةً على أنْ لا علاقةَ بينَ البنائينِ لاختلافِ الدّلالةِ،ولا يكونُ حجَّةً على أنَّ الهاءَ أُبدلتْ همزةً،فلا يشفعُ بدلُ البدلِ في تغييرِ حقيقةِ المفردةِ،و لو أنَّ الهاءَ أُبدلتْ همزةً ثمَّ أَلفًا،أَو أَنَّها أُبدلتْ أَلِفًا مباشرةً فهذا لا يغيّرُ منْ الأمرِ شيئًا،نحنُ نؤدّي بالنتيجةِ الأخيرةِ التي وصلَ اللفظُ إليها،ولا نعتدُّ بالأسبابِ الموصلةِ إلى النَّتيجةِ،ثمَّ-وكأَنَّ ابنَ جنّي يعلمُ أَنَّ المتلَقّيَ سينكرُ-يفترضُ سؤالًا آخرَ:((فإنْ قيل:ألستَ تزعم أنّ الواو في والله بدلٌ من الباء في بالله،وأنت لو أَضمرتَ لم تقُلْ:وَهُ لأفعلنَّ،كما تقولُ:به لأفعلنَّ.وقد تجدُ أيضًا بعضَ البدلِ لا يقعُ موضعَ المُبدلِ منهُ في كلّ موضعٍ،فما تنكرُ أيضًا أن تكونَ الأَلف في آل بدلًا من الهاء،وإن كان لا يقعُ جميعَ مواقعِ أهل؟فالجوابُ أنَّ الفرقَ بينهما أنّ الواو لم تمتنع من وقوعها في جميع مواقع الباء،من حيث امتنع وقوع"آل"في جميع مواقع"أهل"وذلك أنَّ الإضمار يردُّ الأشياء إلى أُصولها في كثير من المواضع،ألا ترى أنَّ من قال:أعطيتكم درهمًا،فحذف الواو التي كانت بعد الميم،وأسكن الميم،إذا أضمر الدّرهم قال أعطيتُكُموه،فردَّ الواوَ لأجل اتّصال الكلمة بالمُضمر.فأمّا ما حكاهُ يُونُس من أنّ بعضهم قال:أَعْطَيْتُكُمْهُ،فشاذٌّ لا يُقاسُ عليه عندَ عامّة أَصحابنا[١٨]((،فالأَصلُ هو الهمزةُ لا الألفَ؛لأنَّ المفردتينِ مختلفتانِ دلاليًّا،ولا تقعُ إحداهما موقعَ الأُخرى،وإنْ وُجدَ هذا الاستعمالُ،لكنَّهُ لا يكونُ مع جميعِ الأَصواتِ؛فما كانتْ هي الأَصلُ جازَ أنْ تقعَ موقعَ ما حصلَ البدلُ فيها ولكنَّ بدلَ البدلِ لا يحصلُ هذا معه،فإنَّ(أهل)و(آل)لا تتعاقبانِ؛لأَنَّ الهمزةَ

بدلٌ منْ الألفِ في(آل)ولمَّا كانتْ كذلكَ امتنعَ وقوعُها موقعَ أُختِها،واختلفتْ الدّلالةُ،وقدْ أصرَّ أبو الفتحِ على أنْ تكونَ الهاءُ قدْ أُبدلتْ همزةً،ثُمَّ أُبدلتْ الهمزةُ أَلفًا،استنادًا إلى:

-أنَّ الأَلفاظَ تُردُّ إلى أُصولِها الصّوتيّةِ بإضافةِ المفردةِ إلى الضّميرِ،فقاسَ على(أَعطيتُكُمُوهُ)؛ لأَنَّها المفردةُ التي اختصّتْ بردِّ المعتلِّ إلى أَصلِهِ في حالِ إضافَتِها إليهِ[١٩]،فهل هذا موضعُ القياسِ؟سيبويهُ يفصّلُ القولَ:((وإذا كانت الواو والياء بعد الميم التي هي علامة الإضمار كنت بالخيار:فالإثباتُ عليكُمُو،وأنْتُمُو ذاهِبونَ،ولدَيْهِمِي مالٌ،فأثبتوا كما تثبت الألف في التّثنية إذا قلت:علَيْكُما،وأنْتُما،ولَديْهما.وأمّا الحذفُ والإسكان فقولهم:عَلَيْكُمْ مَالٌ،وأَنْتُمْ ذَاهِبُون،ولَدَيْهِمْ مَالٌ؛لمَّا كثُرَ استعمالُهم هذا في الكلام واجتمعتْ الضّمّتان مع الواو،والكسرتان مع الياء،والكسرات مع الياء،نحوُ:بِهِمِي داءٌ،والواو مع الضّمتين والواو نحوُ:أَبُوهُمُو ذاهِبٌ،والضّمّاتُ مع الواو،نحو"رُسُلُهُمُو بالبَيِّنَاتِ"؛حذفوا...[٢٠]((،فلا مانع من الإسكانِ،وليسَ الصّوتُ-أعني الواوَ والياءَ-هو من بُناةِ اللفظِ-وإنْ كانَ هو الأَصلُ حقًّا-والقولُ يرجعُ إلى قصدِ تسهيلِ اللفظِ؛لاجتماعِ الصَّوائتِ القصيرةِ مع الطّويلةِ من جنسها:

ع ـَ /ل ـَ ي/ك ـُ /م ـُـ

أ ـَ ن /ت ـُ /م ـُـ

ل ـَ /د ـَ ي/ه ـِ /م ـِـ

ثمَّ أكملَ:((وأسكنوا الميمَ لأَنَّهُم لمّا حذفوا الياء والواو كرهوا أن يدعوا بعد الميمِ شيئًا منهما،إذ كانتا تُحذفان استثقالًا فصارت الضّمّة بعدها نحو الواو،ولو فعلوا ذلك لاجتمعت في كلامهم أربعُ متحرّكاتٍ ليس معهنَّ ساكنٌ نحو:رُسُلُكُمُو.وهم يكرهون هذا.ألا ترى أَنَّهُ ليس في كلامهم اسمٌ على أربعةِ أحرفٍ متحرّكٌ كُلُّهُ[٢١]((،فالقولُ كُلُّهُ في تتابُعِ المتحرّكاتِ،ولا إبدالَ،بلْ هوَ حذفٌ وإسكانٌ لأَجلِ التَّخلُّصِ منْ ذلكَ التَّتابُعِ:

رـُ /س ـُ /ل ـُ /ك ـُ /م ـُـ وفيها متحرّكاتٌ أربعةٌ ثمَّ واوٍ منْ دونِ فصلٍ.

والواوُ هي الأصلُ في عليكُمْ نعمْ؛لذا رجعتْ عندَ إضافةِ المُضمرِ،وهي معتلّةٌ،لكنَّها كالتي في ألفِ التثنيةِ لا كالتي لبناءِ المفردةِ[٢٢]،فكأنَّ الأَلفَ المبدلةَ تُردُّ إلى أَصلِها(الهاء)إذا ما أضيفتْ إلى الضّميرِ قياسًا على مفردةِ(عَلَيْكُمُو)،وليس القياسُ ممكنٌ هنا معَ هذا الفارقِ الكبيرِ،فعودُ المعتلِّ إلى أَصلهِ بإضافةِ المضمرِ إليهِ لم يُنقَلْ أو يُؤْلَفَ إلَّا في الكلمةِ التي قاسَ أبو الفتحِ عليها،مع اختلافِ المُعْتَلَّيْنِ،فالأوَّلُ عينُ الكلمةِ أَصلٌ في البناءِ،والثّاني وصلةٌ صوتيّةٌ تتلو علامةَ الإضمارِ.

-أنَّ استحالةَ تبادلِ المواقعِ بينَ المفردتينِ في سياقاتِهما هو دليلٌ على أنَّ الهاءَ لمْ تُبدلْ أَلفًا،ولكنَّها أُبدلتْ همزةً ثمَّ أَلفًا،ولو كانت قد أُبدلت أَلفًا لجازَ تبادُل المواقعِ بين المفردتينِ،وإنَّ بدلَ البدلِ هو الذي حالَ بينَ المفردتينِ،وهذا تعليلٌ فيهِ نظرٌ،فهلْ يكونُ منعُ التبادُلِ إلّا لاختلافِ الدَّلالةِ؟

- أنَّ التّصغيرِ يُرجعُ المفردةَ إلى الأصواتِ الأصليّةِ المؤلّفةِ لها،فلو كان تصغيرُ مفردةِ(أهل) هو(أُهيل)،وتصغيرُ مفردةِ(آل)هو(أُهيل)أيضًا،فهذا يعني أنَّ أصلَ(آل) هو(أَهل)والهاءُ هي الأَصلُ هنا،قال:((والذي يدلّ على أنَّ أصلَ آل أهل،قولهم في التّحقير أُهيل ولو كانَ من الواو لقيل أُويل،ولو كان من الياء لقيل أُييل[٢٣])(،وهذا التّوجيهُ الصّوتيُّ هو الذي اختارَهُ نصُّ غريبِ القُرآنِ،وفيهِ نظرٌ-وإن أختنقَتْ بهِ مؤلّفاتُ اللغويّينَ ونسبتْهُ إلى سيبويهِ من دونِ إثباتٍ[٢٤]- فالمفردتانِ منْ جذرينِ لغويَّينِ مختلفينِ،فـ(أهل)منْ(أَهَلَ)،و(آل)منْ(أَيَلَ)أو(أَوَلَ)،وهذا نقلُ أَوائلِ المعجماتِ العربيَّةِ كما أَشرنا[٢٥]،كما أَنَّ بعضَ من فطِنوا فتَّشوا فلم ينسبوا القولَ لسيبويهَ[٢٦]،ومنهمْ منْ أَبعَدَهُ عنهُ[٢٧]،وإنَّ تصغيرَ(آل)على(أُويل)مذكورٌ،محجوجٌ بهِ وهو منسوبٌ إلى الكسائيِّ (ت١٨٩هـ)،وموجودٌ في مؤلَّفهِ المجموعِ منْ المخطوطاتِ التي ضاعَتْ بعضُ أَجزائِها وتُركتْ منْ دونِ تحقيقٍ،أو منْ بعضِ المتونِ التي نقلتْ عنهُ،فهو منسوبٌ إليهِ،قال:((أويل،وإذا جمعته قلت(آلون)فأما"الآل"الذي هو السراب فجمعه أأوال على أفعال.ويقال في تصغير(آل)أويل[٢٨])(،فتسقطُ الواو:

أ ـَـ /و ـَـ /ل ـَـ

أ ـَـ /ل ـَـ

إنَّ التَّوجيهَ الصّوتيَّ وإنْ اختلفَ بينَ القديمِ والحديثِ،إلَّا أنَّ نتاجَهُ واحدٌ،فإنْ وُسمَ عندَ القُدماءِ بالإبدالِ،فهو عندَ المحدثينَ منْ علماءِ الصّوتِ حذفٌ وإشباعٌ،فالواوُ إنْ حفَّتها فتحتانِ تبدلُ ألفًا هذا نصُّ القُدماء الذي يرى المحدثونَ فيهِ نظرٌ .

المزدوجُ الصّاعدُ(وَ)أَيُمكنُ أن يصيرَ حركةً طويلةً(ا)إبدالًا؟هذا ما أَنكره الدَّرسُ الصَّوتيُّ الحديثُ،بل هو حذفٌ للواوِ ثمَّ إطالةُ زمنِ النُّطقِ بالفتحةِ التي خلَّفتها الواوُ،لتصيرَ صائتًا طويلًا ويتشكَّلُ المقطعُ: أ ـَـ / .

ولو كانَ الأَصلُ(أَيَلَ)،كما قالَ الخليلُ،لقلْنا المقالةَ نفسَها،في الدَّرسينِ القديمِ والحديثِ:

أ ـَـ /ي× ـَـ /ل ـَـ

أ ـَـ /ل ـَـ

- خاتمة:

لمَّا كانَ الأَمرُ كما تقدَّمَ،وأنْ لا علاقةَ بينَ الهاءِ والألفِ في(آل)،استنادًا إلى نقلِ المعجمِ، واضطرابِ نسبةِ الرَّأيِ إلى سيبويهَ،وافتقارِ التَّعليلِ الصّوتيِّ القديمِ إلى الحُجَّةِ البالغةِ،تعيَّنَ أنْ نقولَ:أنْ لا علاقةَ بينَ المفردتينِ(أهل)و(آل)،وليستْ الثانيةُ منْ الأولى مشتقَّةً،وإنَّ هذا التوجيهَ-أعني مقالةَ صاحبِ نصِّ غريبِ القرآنِ-رغبَ بهِ قائلُهُ لاقترابِهِ من دلالَةٍ تحكُمُها مرجعيّةٌ ما،وهذهِ المرجعيَّةُ تحمِلُ فكرةَ تقديسِ إحدى المفردتينِ فلا يُمكنُ للمقدَّسِ أن يكونَ بدلالةِ التَّحقيرِ،منْ دونِ الالتفاتِ إلى إمكانِ أنْ تكونَ المفردتانِ

منفصلتينِ وإنَّ تشابُهًا ما في لحظةٍ زمنيَّةٍ ما هو الذي جرَّ علينا هذهِ التأويلاتِ،ولعلَّ الاختلافَ الدّلاليَّ بينَ المفردتينِ في السّياقاتِ غيرِ المعدودةِ التي جاءتَا فيها دليلٌ واضحٌ على افتراقِهما.

الهوامشُ:

(١) باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن:١/٢٨٣.

(٢) المصدر نفسه والجزء والصّحيفة.

(٣*) ليس المجيءُ بمفردةِ(أهل)أوّلًا اعترافًا بسبقِها مفردةَ(آل)،ولكن هكذا يكون سياقُ الكلامِ.

(٤) كتاب العين،الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت١٧٥هـ):٤/٨٩-٩٠(أَهَلَ)وينظر:جمهرة اللغة،ابن دريد(ت٣٢١هـ): ،وتهذيب اللغة،أبو منصور الأزهري(ت٣٧٠هـ):٦/٢٢٠(أَهَلَ)،والصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية،إسماعيل بن حمّاد الجوهري(ت٣٩٣هـ) :٤/١٦٢٨(أَهَلَ)،ومعجم مقاييس اللغة،أحمد بن فارس(ت٣٩٥هـ):٧٨(أَهَلَ)،ومجمل اللغة،أحمد بن فارس:٣٧(أَهَلَ)،والمحكم والمحيط الأعظم،علي بن إسماعيل ابن سيده(ت٤٥٨هـ):٤/٣٥٥-٣٥٦(أَهَلَ)،وأساس البلاغة،محمود بن عمر الزّمخشري(ت٥٣٨هـ) :٢٦(أَهَلَ)،والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي،أحمد بن محمّد الفيومي:٢٨(أَهَلَ)،والقاموس المحيط/محمّد بن يعقوب الفيروزآبادي(ت٨١٧هـ) :٩٦٣(أَهَلَ).

(٥) كتاب العين:٨/٣٥٩(أَيَلَ)،وينظر:جمهرة اللغة،ابن دُريد(ت٣٢١هـ):١/٢٤٧،باب الثّنائي من المعتلّ وما تشعّب منه(أَوَلَ)،والصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية:٤/١٦٢٧(أَوَلَ)،ومعجم مقاييس اللغة:٨٢(أول).

(٦) تهذيب اللغة:١٥/٣١٥(آل)

(٧) المحكم والمحيط الأعظم:٤/٣٥٦(أَهَلَ).

(٨) المصباح المُنير في غريب الشرح الكبير للرَّافعي:٢٩(آل).

(٩) ينظر:كتابُ سيبويه:٣/٤٥٠.

(١٠) المصدر نفسه والجزء:٤٥٣.

(١١) المصدر نفسه:٤/٢٤٠.

(١٢) ينظر:المصدر نفسُهُ:٤/٢٣٧-٢٤٢.

[١٢] ينظر:شرح الجمل،أبو عبد الله محمد بن علي(ابن الفخار)(ت٧٥٤هـ)وهو شرح كتاب الجمل في النحو والإعراب للزجّاجي:٣٥/١-٣٦،والدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون،السّمين الحلبي(ت٧٥٦هـ):٢١٧/١،وفتح الباري شرح صحيح البخاري،أحمد بن علي بن حجر العسقلاني(٨٥٢هـ):١١١/٧،وعمدة القاري شرح صحيح البخاري،بدر الدّين العيني(٨٥٥هـ):١٨٠/١١،واللباب في علوم الكتاب،أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي(ت٨٨٠هـ):٥٣/٢،والنّاظر الصحيح على الجامع الصّحيح،أبو ذر موفق الدين أحمد بن إبراهيم المعروف بسبط ابن العجمي (ت٨٨٤هـ):٢٨٧/٢،وفيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النّذير،محمد عبد الرؤوف المنّاوي(ت١١٠٣هـ):٢٢/١،ونثر الدّرر النّضيد بشرح جوهرة التوحيد،إبراهيم بن حسن اللقاني(ت١٠٤١هـ):٣٩،وعقيدة أهل الإيمان لتعليم النساء والصبيان،عبد القادر الفاسي(ت١٠٩١هـ):١٧٢،وتعليق الفواضل على إعراب العوامل،حسين بن أحمد(ت١١٦٨هـ):١٢٥،وحاشية الصّبّان على شرح الأشموني على ألفيّة ابن مالك،أبو العرفان محمّد بن علي بن الصّبّان الشّافعي(ت١٢٠٦هـ):٢٦/١،وحاشية العلّامة ابن الحاج على شرح متن الآجروميّة،أحمد بن محمّد بن حمدون(ت١٢٣٢هـ):١٥،وحاشية السّباعي على شرح الخريدة البهيّة في العقائد السّنيّة لأحمد بن محمّد العدوي(ت١٢٠١هـ)،محمّد بن صالح السّباعي(ت١٢٦٨هـ):٤٢،وشرح لاميّة الأفعال،محمّد بن يوسف اطفيش (ت١٣٨٥هـ):٩٧/١،وآراء الكسائي عند شرّاح ألفية ابن مالك في القرن الثامن الهجري،نهاد عبد الفتاح فريح:١٣٨.

[١٣] معاني القرآن،أبو الحسن سعيد بن مسعدة البصري المعروف بالأخفش الأوسط:٧٥.

[١٤] ينظر:كتاب المقتضب،محمَّد بن يزيد المُبرِّد:١٩٩/١-٢٠٤.

[١٥] سرُّ صناعةِ الإعراب،أبو الفتح عثمان بن جنّي:١١٢/١.

[١٦] ينظر:المصدر نفسه والجزء:١١٣.

[١٧] ينظر:المصدر نفسه والجزء:١١٤-١١٥.

[١٨] سرُّ صناعة الإعراب:١١٥/١-١١٦.

[١٩] يُنظر:كتاب سيبويه:٣٧٦/٢-٣٧٧،والأشباه والنّظائر في النّحو،جلال الدّين السّيوطي:٢٤١/١.

[٢٠] كتاب سيبويه:١٩١/٤-١٩٢.

[٢١] المصدر نفسه والجزء:١٩٢.

[٢٢] ينظر:المصدر نفسه والجزء:١٩٣.

[٢٣] سرّ صناعة الإعراب:١١٨/١.

[٢٤] ينظر :الصّحيفة:٨،الهامش:٣.

[٢٥] ينظر :الصّحيفة:٥-٦ من الأُطروحة.

[٢٦] ينظر :مشكل إعراب القرآن،مكّي بن أبي طالب القيسي(ت٤٣٧هـ):٤٢.

[٢٧] ينظر :الإقناع في القراءات السّبع،أبو جعفر أحمد بن علي الأنصاري(ت٥٤٠هـ):١٤٠.

[٢٨] معاني القرآن،الكسائي:٧٠،وينظر :شرح شافية ابن الحاجب،رضي الدّين الأستراباذي(ت٦٨٤هـ)،٨٥٨/٢،والإسعاد بشرح الإرشاد،شرف الدين أبو محمد ابن المقري(ت٨٣٧هـ):١٥٨.

<u>- ثبتُ المصادر والمراجع:</u>

-القرآن الكريم.

-الكتب المطبوعة:

-أساس البلاغة،جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزّمخشري(ت٥٣٨هـ)،ط١،دار إحياء التراث العربي،بيروت٢٠٠١م.

-القاموس المحيط،مجد الدين محمّد بن يعقوب الفيروزآبادي،تح:مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة،ط٨،مؤسسة الرسالة،لبنان٢٠٠٥م.

-المحكم والمحيط الأعظم،أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي،تح:الدكتور عبد الحميد هنداوي،دار الكتب العلمية،بيروت.

-تاج اللغة وصحاح العربية،إسماعيل بن حمّاد الجوهري(ت٣٩٣هـ)،ط٤،دار العلم للملايين،بيروت.

-تهذيب اللغة،أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري(ت٣٧٠هـ)،إشراف:محمد عوض مرعب،ط١،دار إحياء التراث العربي،بيروت٢٠٠١م.

-سر صناعة الإعراب،أبو الفتح عثمان بن جنّي(ت٧٩٢هـ)،تح:محمد حسن محمد حسن إسماعيل، وأحمد رشدي شحاتة عامر،ط١،دار الكتب العلمية،بيروت٢٠٠٠م.

-كتاب المقتضب،أبو العبّاس محمّد بن يزيد المبرّد(ت٢٨٥هـ)،تح:محمّد عبد الخالق عضيمة،وزارة الأوقاف لجنة إحياء التراث الإسلامي،مصر ١٩٩٤م.

-كتاب جمهرة اللغة،ابن دريد(ت٣٢١هـ)،ط١،مكتبة المثنى،بغداد ١٣٤٥هـ.

-كتاب سيبويه،أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(ت١٨٠هـ)،تح:عبد السّلام محمد هارون،ط١،دار الجيل،بيروت.

-مجمل اللغة،أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريّا،راجعه ودقق أصوله:محمّد طعمة،ط١،دار إحياء التراث العربي،بيروت٢٠٠٥م.

-معاني القرآن،أبو الحسن سعيد بن مسعدة المعروف بالأخفش الأوسط(ت٢١٥هـ)،قدّم له وعلّق عليه ووضع حواشيه وفهارسه:إبراهيم شمس الدّين،ط١،دار الكتب العلميّة،بيروت٢٠٠٢م.

-معجم مقاييس اللغة،أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريّا(ت٣٩٥هـ)،اعتنى به،د.محمّد عوض مرعب،الآنسة:فاطمة محمّد أصلان،دار إحياء التراث العربي،بيروت٢٠٠٨م.

-باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن،محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري ،تحقيق:سعاد بنت صالح، (د.ط)،جامعة أم القرى،المملكة العربية السعودية١٩٩٨م.

-كتاب العين،أبو عبد الرّحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت١٧٥هـ)،تحقيق:الدكتور مهدي المخزومي،والدكتور إبراهيم السّامرائي،(ط.ط)،دار الرّشيد للنشر،العراق١٩٨٠م.

-المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي،أحمد بن محمّد بن علي الفيومي(ت٧٧٠هـ)،ط١،دار الكتب العلمية،بيروت١٩٩٤م.

-شرح الجمل أبو عبد الله محمد بن علي (ابن الفخار)(ت٧٤٥هـ)وهو شرح كتاب الجمل في النحو والإعراب للزجاجي،تحقيق:الدكتورة روعة ناجي،(د.ط)،دار الكتب العلمية،بيروت ٢٠١٢م.

-الدر المصون في علوم الكتاب المكنون،شهاب الدين أبو العباس بن يوسف بن محمّد بن إبراهيم المعروف بالسمين الحلبي(ت٧٥٦هـ)،تحقيق وتعليق:الشيخ علي محمّد معوّض،الشيخ عادل أحمد عبد الموجود،الدّكتور جاد مخلوف جاد ،الدكتور زكريا عبد المجيد النّوتي،(د.ط)،دار الكتب العلمية،بيروت(د.ت).

-فتح الباري بشرح صحيح البخاري،أحمد بن علي بن حجر العسقلاني(ت٨٥٢هـ)،تحقيق وضبط:عبد العزيز بن عبد الله بن باز ،(د.ط)،دار الفكر،بيروت(د.ت).

-اللباب في علوم الكتاب،عمر بن علي بن عادل الدمشقي(ت٨٨٠هـ)،تحقيق:عادل أحمد عبد الموجود،علي محمد معوض،ط١،دار الكتب العلمية،بيروت١٩٩٨م.

-الناظر الصحيح على الجامع الصحيح،أبو ذر موفق الدين أحمد بن إبراهيم المعروف بسبط ابن العجمي(ت٨٨٤هـ)، تحقيق:حامد عبد الله،(د.ط)،دار الكتب العلمية،بيروت(د.ت).

-فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير ،محمد عبد الرؤوف المناوي(ت١١٠٣هـ)،ط٢،دار المعرفة،مصر ١٩٧١م.

-نثر الدرر النضيد بشرح جوهرة التوحيد،إبراهيم بن حسن اللقاني(ت١٠٤١هـ)،(د.ط)،دار الكتب العلمية ،بيروت٢٠١٣م.

-عقيدة أهل الإيمان لتعليم النساء والصبيان،عبد القادر الفاسي(ت١٠٩١هـ)،تحقيق:الدكتور بنعيسى النية،دار غيداء للنشر والتوزيع،ط١،الأردن٢٠١٩م.

-تعليق الفواضل على إعراب العوامل،حسين بن أحمد(ت١١٦٨هـ)،تحقيق:محمد بن يونس هاني،وزارة التعليم العالي،السعودية٢٠١٢م.

-حاشية الصّبّان على شرح الأشموني على ألفيّة ابن مالك،أبو العرفان محمّد بن علي الصّبّان الشافعي(١٢٠٦هـ)،ضبطه وصححه وخرّج أحاديثه:إبراهيم شمس الدّين،(د.ط)،دار الكتب العلمية،بيروت(د.ت).

-حاشية العلامة ابن الحاج على شرح متن الآجرومية،أحمد بن محمّد بن حمدون(ت١٢٣٢هـ)،(د.ط)،دار الفكر ،بيروت_د.ت).

-حاشية السّباعي على شرح الخريدة البهية في العقائد السّنِّيَّةلأحمد بن محمّد العدوي(ت١٢٠١هـ)،محمّد بن صالح السّباعي(ت١٢٦٨هـ)،اعتنى به:أحمد فريد المزيدي،(د.ط)،دار الكتب العلمية،بيروت٢٠١٢م.

-شرح لاميّة الأفعال،محمّد بن يوسف اطفيش(ت١٣٨٥هـ)،(د.ط)،وزارة الأوقاف والثقافة،سلطنة عُمان ١٩٨٦م.

-آراء الكسائي عند شرّاح ألفيّة ابن مالك في القرن الثامن الهجري،نهاد عبد الفتاح،(د.ط)،الجامعة الإسلامية، غزة٢٠١٢م.

-الأشباه والنّظائر في النّحو،جلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ)،تحقيق:د.عبد العال سالم مكرم،(د.ط)،مؤسسة الرسالة، (د.ت).

-تفسير المشكل من غريب القرآن العظيم على الإيجاز والاختصار،أبو محمّد مكّي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ)، دراسة وتحقيق:هدى الطويل المرعشلي،ط١،دار النّور الإسلامي،بيروت١٩٨٨م.

-الإقناع في القراءات السّبع،أبو جعفر أحمد بن علي الأنصاري(ت٥٤٠هـ)،حققه وقدّم له:الدكتور:عبد المجيد قطامش ،ط١،دار الفكر،دمشق١٤٠٣هـ.

-شرح شافية ابن الحاجب،رضي الدين محمّد بن الحسن الأستراباذي(ت٦٨٦هـ)،تحقيق وضبط:محمّد نور الحسن،محمّد الزفزاف،محمّد محيي الدين عبد الحميد،ط١،دار الكتب العلمية،بيروت٢٠٠٠م.

-معاني القرآن،علي بن حمزة الكسائي(ت١٨٩هـ)،أعاد بناءه وقدّم له:الدكتور عيسى شحاته عيسى،(د.ط)،دار قباء، مصر ١٩٩٨م.

-الإسعاد بشرح الإرشاد كمال الدين محمد بن محمد ابن أبي شريف المقري(٨٣٧هـ)،ط١،دار الكتب العلمية،بيروت ٢٠١٩م.